رسالة في تفسير أوائل سورة الدخان للبكريّ الصدّيقيّ: تقديم وتحقيق

عمر يوسف عبد الغني حمدان[1]

سليم أبو جابر[2]

ترجمة البكريّ الصدّيقيّ (898-952هـ/1492-1545م)[3]

هو أبو الحسن محمّد بن جلال الدين أبي البقاء محمّد بن جلال الدين عبد الرحمن البكريّ الصدّيقيّ نِسْبَةً إلى الصحابيّ الجليل أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه؛ ومن محاسن الصدف أنّه ذكره في رسالته المحقّقة هنا، فنَعَتَهُ بقوله: «جَدُّنا، خليفةُ رسولِ اللهِ، ﷺ»[4].

---

(1) أستاذ التفسير وعلوم القرآن ومشرف كرسيّ تدريس العلوم القرآنيّة، معهد العلوم الشرعيّة، جامعة توبنگن.

(2) أستاذ اللغة العربيّة والحضارة الإسلاميّة، أكاديمية القاسمي والكلّيّة الأكاديميّة أحفا.

(3) مصادر ترجمته: الشعرانيّ (ت973هـ): الطبقات الوسطى 1176/2-1178 (551)، المناويّ (ت1031هـ): الكواكب الدرّيّة في تراجم السادة الصوفيّة 323/3-325 (745)، العيدروس (ت1038هـ): النور السافر عن أخبار القرن العاشر 548-553 [ضمن ترجمة ٱبْنِهِ أبي المكارم]، الغزّيّ (ت1061هـ): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة 192/2-196 (1082) [هناك آسمه «عليّ بن محمّد البكريّ»]، آبن العماد الحنبليّ (ت1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب 419/10-421 [هناك 419/10 آسمه «علاء الدين أبو الحسن عليّ بن جلال الدين محمّد البكريّ الصدّيقيّ»]، الشِّلّيّ (ت1093هـ): السناء الباهر 374-378، عليّ باشا مبارك (ت1311هـ): الخطط التوفيقيّة الجديدة 127/3، إسماعيل باشا البغداديّ (ت1339هـ): هديّة العارفين 239/2 [هناك «أبو الحسن البكريّ محمّد بن أبي محمّد بن عبد الرحمن بن أحمد البكريّ الصدّيقيّ الشافعيّ المصريّ المتوفَّى بها سنة 952 آثنتين وخمسين وتسعمائة»]، النبهانيّ (ت1350هـ): جامع كرامات الأولياء 303/1-305، بروكلمان (ت1375هـ): تاريخ الأدب العربيّ 438/2-439 (5)، ملحق 461/2-462 (5) [كلاهما بالألمانيّة]، الزركليّ (ت1396هـ): الأعلام 57/7 [أبو الحسن البكريّ]، كحّالة (ت1408هـ): معجم المؤلّفين 229/11-230 (محمّد البكريّ)، سالم: التراث الثريّ في البيت البكريّ 20-21.

(4) يُنظَر هنا 295.

يُعَدُّ من كبارِ فقهاءِ عصرِه ومفسّريهم ومحدّثِيهم ومن السادة الصوفيّة المنتسبين إلى السلالة البكريّة التي كانت لها خلافة السادة البكريّة ونقابة السادة الأشراف بالديار المصريّة عبر قرون تترى.

وُلد بالقاهرة في ليلةٍ أَسفَرَ صَبَاحُها عن حادي عشر جمادى الأولى سنة 898هـ[1]. أخذ العلوم الشرعيّة عن الشيخ زكريّا الأنصاريّ (823-929هـ)[2]، مؤلِّف التفسير (فتح الرحمن بكشفِ ما يَلْتَبِسُ في القرآن) (ط)، والشيخ البرهان بن أبي شريف المقدسيّ (836-923هـ)[3]، مصنِّف (المواهب المدّخرة) (ط)، والشيخ القسطلّانيّ (851-923هـ)[4]، صاحب الشرح الشهير لصحيح البخاريّ (ط). وأخذ التصوُّف عن الشيخ رضيّ الدين الغزّيّ (862-935هـ)[5]، صاحب (جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة) (ط).

كانت مُدَّةُ ٱشتغالِهِ على الأشياخ المذكورين آنفًا نحو سنتَيْنِ في قول الشعرانيّ (ت973هـ)[6] أو نحو ثلاث سنين في قولٍ آخرَ[7]؛ وهي قصيرة على القولين، لكنّه مع ذلك تبحّر في علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث وغير ذلك وفي علوم العربيّة وفنون الأدب وفي علوم السادة الصوفيّة لِمَا بلغه من ذروة الفصاحة وما ٱكتسبه من المعارف وما حظي به من المواهب، كشدّة الذكاء وقوّة الحفظ. ثمّ صار يدرّس في الجامع الأزهر؛ فأقرأ كلّ علم

[1] كما قال والده جلال الدين محمّد البكريّ الصدّيقيّ؛ وهو التاريخ المثبت. أمّا ما نصّت عليه المصادر أنّه ولد سنة 899هـ، فليس بدقيق.

[2] عنه الطبقات الوسطى 1118/2-1128 (507)، الكواكب الدرّيّة 369/3-373 (777)، الأعلام 46/3-47.

[3] هو شيخ الإسلام برهان الدين قاضي القضاة إبراهيم بن محمّد بن أبي بكر المُرّيّ الشافعيّ. عنه الطبقات الوسطى 1128/2-1129 (508)، الكواكب الدرّيّة 308/3-313 (735)، الأعلام 66/1.

[4] هو أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن أبي بكر القتيبيّ. عنه الطبقات الوسطى 1144/2-1146 (525)، الأعلام 232/1.

[5] هو أبو الفضل محمّد بن محمّد بن أحمد العامريّ. عنه الأعلام 56/7.

[6] الطبقات الوسطى 1177/2.

[7] نقله الشلّيّ (ت1093هـ) في السناء الباهر 375.

نفيس، لا سيّما فقه مذهب الإمام الشافعيّ، إذ كان شافعيًّا، أمثال أشياخه المذكورين هنا، فهم من فقهاء الشافعيّة.

بعدما رجع شيخُه رضيّ الله الغزّيّ إلى الشام، شاع أمره وذاع صيته على صغرِ سنِّه في الأوساط المحلّيّة وفي أقطار مختلفة، على وجه الخصوص في الديار المصريّة والحجازيّة، إذ حظي بإقبال عظيم من العوامّ والخواصّ فيهما، لأنّه كان يتردّد إلى الحجّ، فيقيم عامًا بمصر وعامًا بمكّة؛ فكان أوّلَ مَن حجّ من علماء مصر في محفّةٍ، ثمّ تبعه الناسُ.

لَمّا مرض مرضه الذي مات فيه، أخذ العهدة لابنِهِ أبي المكارم محمّد بن أبي الحسن محمّد البكريّ الصدّيقيّ (930-994هـ) ورتبةَ الجلوسِ في مجلسِهِ من أتباعِه وأمرهم بالدخول تحت حكمه، وذلك لأنّ عُمْرَ آبنِهِ أبي المكارم وقتئذ كان نحوًا من إحدى وعشرين سنة.[1]توفّي بالقاهرة سنة 952هـ. كانت له جنازةٌ مشهودةٌ، ودُفن بجوار الإمام الشافعيّ، رضي الله عنه.

كانت له فضائل وكرامات وكشوفات، ذكرتها مختلفُ تراجمِهِ. ترجمه الناسُ بالقطبيّة العظمى. وأثبت له آبنُه أبو المكارم رتبةَ الاجتهادِ وألّف في ذلك رسالةً، كما أثبتها له الشيخ عبد الوهّاب الشعراويّ (898-973هـ) مستشهدًا بكلامه: «أخبرني بلفظِهِ ونحن بالمطاف أنّه بلغ رتبة الاجتهاد المطلق. وقال: إنّما أَكْتُمُ ذلك عن الأقرانِ خوفًا من الفتنةِ بسبب ذلك، كما وقع للجلال السيوطيّ، رحمه الله. هذا لَفْظُهُ»[2].

أخذ عنه جمعٌ غفيرٌ من طلبة العلم، أشهرهم[3]:

1. ولده الشيخ محمّد تاج العارفين (930-994هـ)[4]
2. الشيخ أحمد بن حَجَر المكّيّ (909-974هـ)[5]

---

[1] النور السافر 536.

[2] الطبقات الوسطى 1176/2-1177. كذلك الكواكب السائرة 194/2، السناء الباهر 376.

[3] السناء الباهر 376-377.

[4] عنه النور السافر 534-547.

[5] هو أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عليّ الهَيْتَميّ. عنه النور السافر 390-396، الأعلام

3. الشيخ محمّد الرمليّ (919-1004هـ)[1]
4. الخطيب الشِّرْبِينيّ (ت977هـ)[2]
5. العلّامة أحمد بن قاسم (ت992هـ)[3]
6. العارف بالله عبد الوهّاب الشَّعْرَاويّ (898-973هـ)[4]
7. الشيخ عبد العزيز بن عليّ الزَّمْزَميّ (900-976هـ)[5]
8. الحافظ نجم الدين الغَيْطِيّ (910-981هـ)[6]
9. الشيخ عبد الرؤوف المكّيّ (930-984هـ)[7]
10. الشيخ أحمد بن علوي باجَحْدَب اليمنيّ (ت973هـ)[8]
11. الشيخ أبو بكر بن سالم (919-992هـ)[9]

.234/1

[1] هو شمس الدين محمّد بن أحمد بن حمزة. يُقال له الشافعيّ الصغير. له (فتاوى شمس الدين الرمليّ). عنه الأعلام 6/7-8.

[2] هو المفسّر شمس الدين محمّد بن أحمد الشافعيّ. من كتبه (السراج المنير) (ط) في تفسير القرآن. عنه شذرات الذهب 10/561-562، الأعلام 6/6.

[3] شهاب الدين الصبّاغ العبّاديّ الأزهريّ الشافعيّ. عنه الأعلام 1/198.

[4] هو أبو محمّد عبد الوهّاب بن أحمد بن عليّ الشعرانيّ، صاحب (الطبقات الكبرى) (ط) و(الطبقات الوسطى) (ط). يُقال له الشعراويّ. عنه شذرات الذهب 10/544-547، هديّة العارفين 1/641، الأعلام 4/180-181.

[5] الشيرازيّ الأصل المكّيّ الشافعيّ، صاحب (نظم علم التفسير) (ط). عنه النور السافر 427-432، شذرات الذهب 10/558، الأعلام 4/23.

[6] هو أبو المواهب نجم الدين محمّد بن أحمد بن عليّ السكندريّ الشافعيّ. عنه شذرات الذهب 10/595-596 [ترجم له في وفيات سنة 984هـ مجانبًا الصوابَ]، الأعلام 6/6.

[7] هو عبد الرؤوف بن يحيى بن عبد الرؤوف المكّيّ الشافعيّ. عنه السناء الباهر 552-554.

[8] عنه النور السافر 385-386، شذرات الذهب 10/541، السناء الباهر 488-490.

[9] عنه النور السافر 532-533، شذرات الذهب 10/625، السناء الباهر 588-599.

12. القاضي محمّد بن حسن بن عليّ السقّاف (ت973هـ)[1].

تواليفه:

لقد كان نتاجه غزيرًا منذ شبابه، كما أشاد بذلك والده جلال الدين البكريّ[2]الذي كان فخورًا بما صنّفه آبنُهُ وهو آبنُ ثمانٍ وعشرين سنةً حين فرغ من تصنيف تفسيره الكبير، فقال: «الحمدُ للهِ الذي رزقني هذا الولدَ الصالحَ الذي مَنَّ اللهُ عليه بهذا المؤلَّفِ المباركِ وبغيرِه من المؤلَّفاتِ التي جُمْلَتِها خمسةٌ وثمانونَ مُؤَلَّفًا»[3]؛ فإذا كان نتاجه في هذه السنّ بهذا المقدار، فإلام آل أمره حين توفّي وهو آبن أربع وخمسين سنةً؟ إِذَنْ لا غرابة ممّا يُقالُ: «إنّ مؤلَّفاتِه تُنِيفُ على أربعِمائةِ تأليفٍ»[4].

هي تتفاوت بين كتب وشروح ورسائل في التفسير والحديث والفقه والتصوُّف والأدعية والمدائح النبويّة ومناقب الصحابة وفضائل الأزمنة والأمكنة وغير ذلك.

لقد وقفنا على عددٍ كبيرٍ منها في بحثَيْنِ لنا متقدّمَيْنِ[5]، لكن نودّ هنا الاكتفاء بذكر ما نُشِرَ منها، وليس بالكثير، غرض حثّ الأهل الدراية والاختصاص على تحقيق أكبر عدد من أعماله الغزيرة التي لا تزال مخطوطةً، كالآتي:

---

[1] عنه السناء الباهر 490491.

[2] هو محمّد بن عبد الرحمن الصدّيقيّ. كان من العلماء العاملين. توفّي سنة نيّف وثلاثين وتسعمائة ودفن في القبّة الكبيرة التي في الجامع الأبيض. عنه الطبقات الوسطى 1135/2-1137 (516).

[3] كما جاء في نهاية نسخة جامعة الملك سعود [رقمها 212 ت.ب، عدد أوراقها 261، مسطّرتها 31 سطرًا، تاريخ نسخها 24 رجب 939هـ، ناسخها يحيى بن عليّ بن يحيى النامولي الشافعيّ مذهبًا البكريّ آعتقادًا] من تفسير آبنه أبي الحسن (الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز) 262ب. كذلك أشاد إلى غزارة إنتاجه كلّ من العيدروس (ت1038هـ)، كما في النور السافر، والشِّلِّيّ (ت1093هـ)، كما في السناء الباهر 376.

[4] النور السافر 550.

[5] الأول بعنوان (رسالة تركيب الصور وترتيب السور للبكريّ الصدّيقيّ: تقديم وتحقيق)، الثاني بعنوان (رسالة آية الإسراء للبكريّ الصدّيقيّ: تعريف وتحقيق) [كلاهما قيد النشر].

1 تحذير أهل الآخرة من دار الدنيا الدائرة (ط)[1]

2 الدرّة الثمينة في فضل المدينة (ط)[2]

3 الدرّة المكلّلة في فتح مكّة المشرّفة المبجّلة (ط)[3]

4 دفع الكَبَد عن من مات له وَلَد (ط)[4]

5 الروض الأنيق في فضل أبي بكر الصدّيق (ط)[5]

6 الفضائل الواردات لمن صبر على البنات (ط)[6]

7 الواضح الوجيز في تفسير القرآن العزيز (ط)[7]

يَنْضَاف إلى ذلك ما حقّقناه من رسائله في التفسير، كالتالي:

8 رسالة تركيب الصور وترتيب السور (ط)

9 رسالة في تفسير آية الإسراء (ط)

10 رسالة في تفسير أوائل سورة الدخان (ط): هي موضوع هذا البحث فيما يلي.

---

[1] مطبوع بالعنوان أعلاه. تحقيق وتعليق: مجدي السيّد إبراهيم. طنطا: دار الصحابة للتراث، ط1، 1410/1990، 80ص.

[2] حقّقها عصام أبو اليزيد محمّد عبد الله ونشرها بعنوان الدرّة الثمينة في فضل المدينة: دراسة حديثيّة موضوعيّة) في المجلّة العلميّة لكلّيّة أصول الدين والدعوة (الزقازيق) 30 (1439/2018) 13-98.

[3] مطبوع بالعنوان أعلاه. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيّة، 1970، 87ص.

[4] مطبوع بالعنوان أعلاه، يليه الفضائل الواردات لمن صبر على البنات. دراسة وتحقيق: بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1440/2019، 96ص.

[5] مطبوع بعنوان (الروض الأنيق في فضل الصدّيق للأستاذ أبي الحسن البكريّ). تحقيق: نافذ حسين حمّاد. مجلّة الجامعة الإسلاميّة [غزّة] 2/14 (2006) 311-370.

[6] يُنظَر هنا الحاشية قبل السابقة.

[7] هو مطبوع بعنوان (تفسير البكريّ). تحقيق وتخريج وتعليق: أحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، [1431]/2010، 3ج/3مج. للتعليق: هذه الطبعة لبالغ الأسف في غاية السوء والرداءة، ممّا يوجب إعادة تحقيقه على الأصول والقواعد المعتمدة والمتعارف عليها.

- **رسالة في تفسير أوائل سورة الدخان:**
  - **عنوانها:**

لم يقيّد لها البكريّ الصدّيقيّ لقبًا، أي عنوانًا. جلّ ما ذكره بعد مقدّمته فيها: «أمّا بعد، فهذا مجلسٌ في فضل ليلة نصف شعبان»؛ وهذا بالفعل ما صنعه، وذلك من خلال وقوفه على معاني أوائل سورة الدخان وفضائلها، فلم يتجاوز تفسيره الآية السادسة منها. لذا ما جاء في بداية المخطوط (47ب) [=50ب حسب الترقيم المستحدَث] العنوان التالي: (نبذةٌ في الكلام على آية الدخان) على أنّه عنوان لها غير صحيح، لأنّه لم يتحدّث فيها البتّة عن آية الدخان، وهي الآية العاشرة فيها: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [10:44]. أمّا نهايته (41ب) [=54ب]، فلم يذكر فيها إلّا الكلمة الأولى من عنوان الصدارة، هكذا «تمّت النبذةُ المباركةُ». وهذا وذاك من صنع الناسخ، لا يُعَوَّلُ عليه. من جهته ضبط المفهرِسُ ماخ، مفهرس المخطوطات العربيّة المحفوظة في مكتبة جامعة برنستون، عنوانَها، كما جاء في صدارتها: (نبذةٌ في الكلام على آية الدخان)[1]؛ وهذا أيضًا لا فائدة منه. قد تبعه في ذلك أصحابُ الفهرس الشامل، لكنّهم تداركوه نوعًا ما بمزيد من التحديد، هكذا «نبذة في الكلام على آية الدخان (الآية الأولى وما بعدها من سورة الدخان)»[2].

نحن من طرفنا نرى تسميتها بما يتوافق مع موضوعها؛ وهو العنوان الذي ٱعتمدناه أعلاه.

  - **أَهمّيّتها:**

لا شَكَّ في أنّ كون كاتب هذه الرسالة الشيخ أبا الحسن البكريَّ الصدّيقيَّ، من كبار علماء عصره وأبرزهم في التدريس والإفتاء والتأليف في العلوم الشرعيّة على تنوّعها، يكسبها - بالإضافة إلى طابعه الصوفيّ - قيمة علميّة عالية لرسوخه في مجال التفسير، فهو صاحب

(1) Mach: *Catalogue of Arabic Manuscripts (Yahuda Section) in the Garrett Collection* 43 (483).

(2) الفهرس الشامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط (علوم القرآن: مخطوطات التفسير وعلومه) 641/1 (136) [ج].

التفاسير المعروفة.

كذلك تكمُن أهمّيّتُها في أنّها عالجت موضوعاتٍ جديرةً، منها ما يتعلّق بعقيدة المسلم، مثل موضوع إنزال الله، تبارك وتعالى، القرآن الكريم ووقت ذلك؛ فقد جَمَعَ البكريّ الصدّيقيّ بين قول الجمهور في تفسير قوله: ﴿إِنَّا أَنزلَنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُبَٰرَكَةٍ﴾ [3:44]: إنّها ليلةُ القدرِ، وقولِ طائفةٍ: إنّها ليلةُ النصفِ من شعبانَ، ووفّق بينهما، وذلك بتَبَنّيهِ قَوْلَ والدِه: كان آبتداءُ النزولِ ليلةَ النصفِ وتَمَامُهُ ليلةَ القدرِ.

- **موضوعاتها:**

رغم حجمها المتواضع تناولت عِدّةَ موضوعاتٍ مهمّة في علم مصطلح التفسير، كالتفسير والتأويل والمحكم والمتشابه، وفي تفسير أوائل سورة الدخان، كالحروف المقطّعة وإنزال القرآن الكريم، وفي أدب فضائل السور، كفضائل سورة الدخان، وفي أدب فضائل الأوقات والأزمنة، كشهرِ شعبان وليلة النصف منه. يمكن إجمالها فيما يلي:

1. وقفة آصطلاحيّة شملت علم نزول القرآن وأقسامه الثلاثة (واضح فيما أنزل وما يُستوضَح وما هو مستترٌ) وتعريف التفسير والتأويل والتفريق بينهما ثمّ تقسيم التأويل إلى محكم ومتشابه.
2. كلامه في تأويل الحروف المقطّعة أوائل بعض سور القرآن الكريم، منها سورة الدخان.
3. كلامه في هل للسور المفتتَحة بالحروف المقطّعة تَمَيُّزٌ على غيرها أم لا.
4. فضائل سورة الدخان.
5. تفسيرُه الآيات الستّ الأُولى من سورة الدخان مع إظهار معاني التشريف والقُدسيّة والبركة فيها.
6. كلامه فيما يُعمَلُ به في فضائل ليلة النصف من شعبان، مثل قيامها على الوجه الأكمل بصلاتي العشاء والصبح في جماعةٍ مشفوعةً بنوافل.

○ **وصف مخطوطتها:**

لم نعثر على نسخ خطّيّة من هذه الرسالة إلّا نسخة واحدة على حدّ علمنا، هي نسخة برنستون الموجودة ضمن مجموع رسائل للبكريّ الصدّيقيّ، محفوظ في مكتبة جامعة برنستون، مجموعة جاريت، قسم يهودا، رقمه 253، عدد أوراقه 146 ورقة، تاريخ نسخه ق12هـ. هذا المجموع عبارة عن آثنتين وثلاثين رسالة.

هذه الرسالة هي الرسالة الرابعة عشرة فيه، أربع أوراق [47ب-51ب حسب الترقيم الأصليّ، 50ب-54ب حسب الترقيم المستحدَث]. بدايتها بعد البسملة: «الحَمْدُ لِلّٰهِ الذي فَصَلَ عُقُودَ الليالي بِلَآلِئَ»، نهايتها: «لِيَحْصُلَ الأَكْمَلُ في القيام. واللهُ أعلمُ». قد نسبها المفهرِس ماخ إلى [أبي المكارم] محمّد [بن أبي الحسن] البكريّ الصدّيقيّ (ت994هـ/1586م)؛[1] قد تبعه في ذلك أصحابُ الفهرس الشامل[2]؛ وهي نسبة ملتبسة، إذ أبو المكارم آبنُه.

○ **منهج التحقيق في خطوط عريضة:**

- تحرير متنها المحقَّق وتقييده بالشكل التامّ وضبطه بعلامات الترقيم الحديثة.
- تخريج الآيات القرآنيّة على قراءة الإمام عاصم الكوفيّ برواية ربيبه حفص بن سليمان مع التقيُّد بالرسم العثمانيّ والأخذ بالعدد الكوفيّ.
- كذلك تخريج الأحاديث والأخبار المنصوص عليها في متنها.
- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في متنها بإيجازٍ.

---

(1) Mach: *Catalogue of Arabic Manuscripts (Yahuda Section) in the Garrett Collection* 43 (483).

(2) الفهرس الشامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط (علوم القرآن: مخطوطات التفسير وعلومه) 641/1 (136) [ب- نبذة في الكلام في آية الإسراء (الآية الأولى من سورة الإسراء)].

عنوان الرسالة المقيّد، نسخة برنستون، ورقة 47ب [=50ب]

بداية متن الرسالة، نسخة برنستون، ورقة 48أ [=51أ]

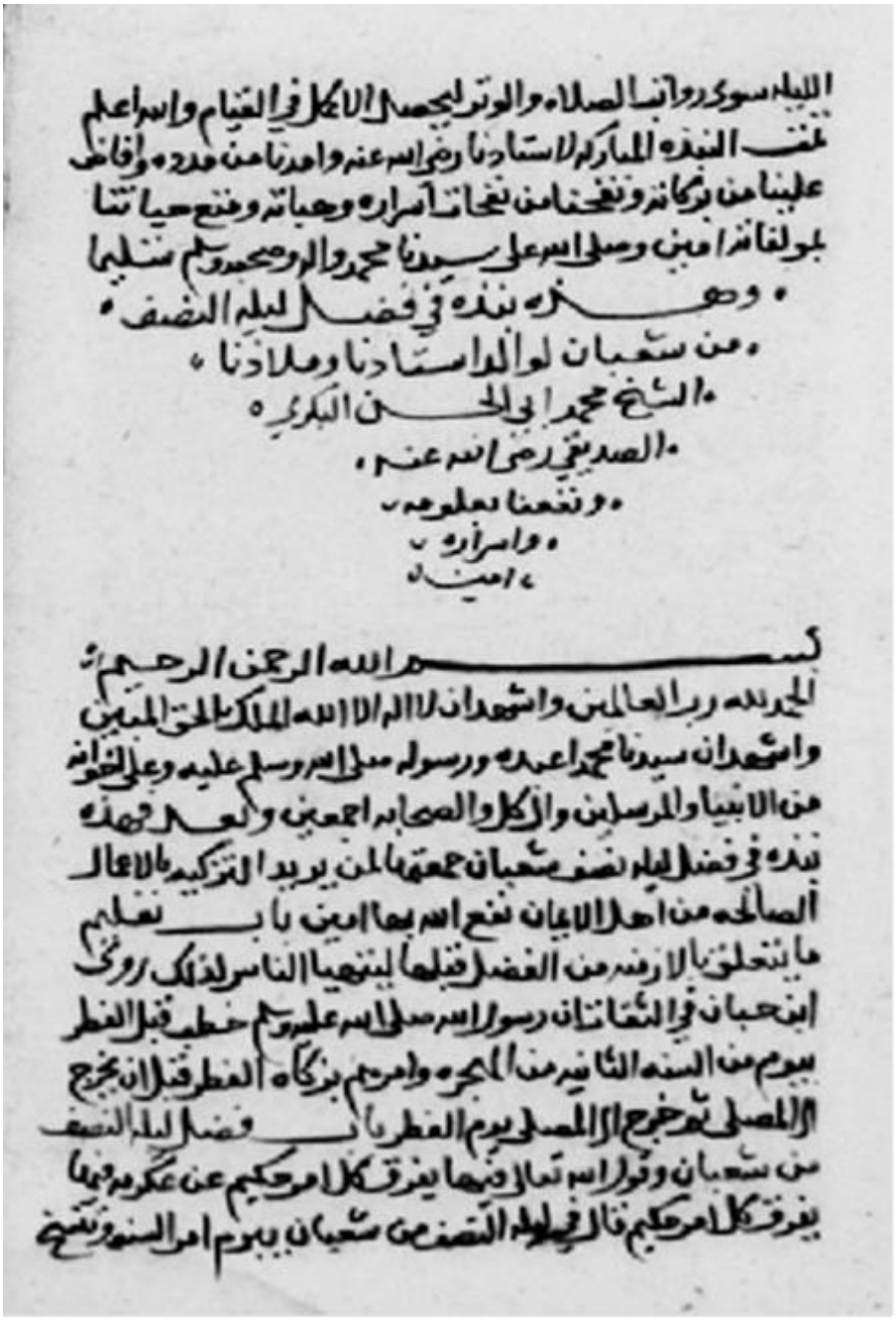

الليلة سورة وآيات الصلاة والوتر ليحصل الاكمل في القيام والله اعلم
كتب هذه المباركة لاستاذنا رضي الله عنه واعدنا من مدده وافاض
علينا من بركاته ونفحنا من نفحات اسراره وهباته ونفع حياتنا
بلوقاته امين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
وهذه نبذة في فضل ليلة النصف
من شعبان لولدي واستاذنا وملاذنا
الشيخ محمد ابي الحسن البكري
الصديقي رضي الله عنه
ونفعنا بعلومه
واسراره
امين

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين واشهد ان لا اله الا الله الملك الحق المبين
واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى اخوانه
من الانبيا والمرسلين وآل كل والصحابة اجمعين ولنعد فهذه
نبذة في فضل ليلة نصف شعبان جمعتها لمن يريد التزكية بالاعمال
الصالحة من اهل الايمان نفع الله بها امين باب تعليم
ما يتعلق بالازمنة من الفضل فقلها لينتهيا الناس لذلك روى
ابن حبان في الثقات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب قبل الفطر
بيوم من السنة الثانية من الهجرة وامرهم بزكاة الفطر قبل ان يخرج
المصلى ثم خرج الى المصلى يوم الفطر باب فضل ليلة النصف
من شعبان وقول الله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم عن عكرمة فيها
يفرق كل امر حكيم قال في ليلة النصف من شعبان يبرم امر السنة وينسخ

نهاية الرسالة، نسخة برنستون، ورقة 51ب [=54ب]

[50ب]

هذه نبذة في الكلام على آية الدخان

لسيّدِنا أيضًا، رضي اللهُ عنه

وأعاد علينا من بركاتِه

ونفحاتِ أسرارِه

آمين

[51أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

الحَمْدُ لِلّٰهِ الذي فَصَلَ عُقُودَ الليالي بِلَآلِئَ، فَصَلَ بها تلك المَنَاظِمَ، وآصْطَفَى مِنَ الدُّهُورِ الأَعْوَامَ والشُّهُورَ والأَيَّامَ المُفْتَرَّةَ المَبَاسِمِ، وجَعَلَ لَيْلَةَ النِّصْفِ من شَعْبَانَ طُرَّةَ جَبْهَةِ العَطَايَا، بَلْ غُرَّةَ قَسمَاتِ المَوَاسِمِ، وأَجْرَى فيها أَجْرًا[1]لِمَنْ أنصَفَ مِن نَفْسِهِ أَنَّ صَفَّ الأقدامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ففاز بالمَوَاهِبِ السَّوَاجِمِ. وأَشْهَدُ أَن لَّا إِلٰهَ إلّا اللهُ الذي شَعَّبَ الخَيْرَ في هذا الشَّهْرِ وقَسَمَ فِيهِ العَطَاءَ الغَمْرَ لإِضَافَتِهِ لِحَبِيبِهِ أبي القاسم. وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا ومَوْلَانَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الذي كان يَصُومُ غالبًا غالِبَ هذا الشَّهْرِ. قال: (لِيَأْتِيَنِي أَجَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)[2]. صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَيْهِ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ، ما سَقَتْ جُيُوبُ الغَمَائِم لِبَلّ قَمِيصِ النَّوَاسِم وتَرَوَّضَتْ خضرُ[3]الغبراءِ، فهي الخضراءُ، وإن كانَتْ حَصْبَاؤُها الزُّهرَ النَّوَاجِمَ.

أمّا بَعْدُ، فهذا مَجْلِسٌ في فَضْلِ لَيْلَةِ نِصْفِ شَعْبَانَ، أَشْرَقَتْ أَشِعَّةُ فَضْلِهِ، فما صَوَّرَهُ أَلْتَمِسُ، بَيْدَ أنّه من سورة الدخانِ يُعْلَمُ بما أَعَدَّ اللهُ، تعالى، في هذِهِ الليلةِ لِعِبَادِهِ وما هَيَّأَ فيها لِعُبَّادِهِ، لِيَكُونَ للنَّفْسِ فيها للتَّكَاسُلِ أَيَّ مُتَارَكَةٍ ولِطَالِبِي البركةِ فيها أيّ إقبالٍ، لأنّها الليلةُ المباركةُ، يُدْرِكَ فيها الجَمْعُ بركةَ الفَرْقِ ويَتَجَلَّى فيها من الغُرُوبِ إلى الفَجْرِ الخالقُ، تقدّس وتعالى، على جميعِ الخَلْقِ. ولا بَأْسَ أَنَّ نُصَدِّرَ الكلامَ فيها بشيءٍ من معاني أوائلِ سورة حم

---

[1] وأجرى فيها أجرًا: واجرا فيها اجرى، الأصل.

[2] هو مقطع من حديث ضعيف، رُوي عن عائشة، رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ، ﷺ، كان يصومُ شعبانَ كلَّه. قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أَحَبُّ الشُّهورِ إليك أن تَصُومَهَ شعبانُ؟ قال: (إنَّ اللهَ يَكْتُبُ فيه على كلِّ نفسٍ مَيِّتَةٍ تلك السَّنَةِ؛ فأُحِبُّ أن يَأْتِيَنِي أَجَلِي وأنا صائمٌ)، كما في الترغيب والترهيب (للمنذريّ) 350 (4) [هناك «رواهُ أبو يعلى؛ وهو غريبٌ وإسنادُه حسنٌ»].

[3] خضر: الخضر، مصحَّح في الأصل.

الدخان وفضائلِها[1]، فنقولُ وباللهِ الاستعانةُ وعليه التُّكْلَانُ:

آعْلَمْ أنّ اللهَ، تعالى، أنزل القرآنَ على رسولِهِ، ﷺ، فمِنهُ ما هو واضحٌ فيما أنزل فيه، ومِنهُ ما يَسْتَوْضِحُهُ تالِيهِ[2]بمراجعةِ أَهْلِ الذكرِ، ومِنهُ ما هو مُسْتَتِرٌ عن التَّهَدِّي إلى الوقوفِ على الحقيقةِ من المرادِ مِنهُ؛ فالكلامُ في الأوّلِ والثاني تفسيرٌ وفي الثالثِ تأويلٌ. وهذا قسمٌ مِنْ أقسام الكلام على التفسيرِ والتأويلِ، وإن كان للقوم آصطلاحاتٌ أُخَرُ. ويَرْجِعُ مضمونُ الكلِّ إلى ما آسْتَبَانَ تفسيرٌ وما لَمْ يستبنْ تأويلٌ **[51ب]** وما دَخَلَهُ التأويلُ يُقالُ في بعضِهِ مُتَشَابِهٌ في بعضِ الاصطلاحاتِ وفي البعضِ الآخرِ مُحْكَمٌ. وقيل: المتشابهُ إنّما هو آياتُ الصفاتِ التي يَتَعَيَّنُ أَن لا يُؤْخَذُ بظاهِرِها، فإمَّا يُؤَوَّلُ وإمَّا يسلم ويُنَزَّهُ الحقُّ، سُبْحَانَهُ، وقَصْرُ المُتَشَابِهِ على هذا فِيهِ نَبْوَةٌ عَنْ سَوَاءِ الجَادَّةِ.

إذا عُلِمَ ذلك، فمِمَّا هو محلُّ التأويلِ لعَدَم التَّهَدِّي إلى المقصودِ مِنهُ الحروفُ المقطّعةُ أوائل السورِ. وقد تكاثرت فيها أقاويلُ العلماءِ وتصادمت فيها أنظارُ العظماءِ نظرًا إلى الكلام عليها بما يمكن أن يكون هو المراد. وللخلافِ في صحّةِ ما جاء فيها مأثورًا ولا يجزم بمِثْلِهِ مِنْ قِبَلِ الرَّأْيِ حتّى زادت الأقوالُ فيها على سِتِّينَ قَوْلًا. وأقربُ تلك وأجمعُها أنّها أسرارُ اللهِ، تعالى، التي آسْتَأْثَرَ بحقيقةِ عِلْمِها، أَيْ وَضَعَها وَضْعَ الاسْتِيثَارِ.

قال جَدُّنا خليفةُ رسولِ اللهِ، ﷺ: وقد يُطْلِعُ اللهُ بَعْضَ أَصْفِيَائِهِ. ثُمَّ على القول في القربِ[3]أنّها حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ من نحوِ أسماءِ اللهِ، تعالى، أو لرسولِهِ، ﷺ، أو لبعضِ الملائكةِ، كقولِ بعضِهم في مأثورِ التفسيرِ في ﴿الم﴾[4][1:2]: الألفُ مِنَ اللهِ واللامُ مِنْ جِبْرِيلَ والميمُ

[1] أوائل... وفضائلها: وفضايل اوايل سوره حم الدخان، الأصل.

[2] أي تالي القرآن.

[3] في القرب: إضافة في الهامش، مشار إليها في هذا الموضع من الأصل، آخرها لفظ (صح).

[4] جاء في أوائل السور التالية: البقرة، كما هو مخرَّج أعلاه، وآل عمران [3] والعنكبوت [29] والروم [30] ولقمان [31] والسجدة [32].

مِنْ مُحَمَّدٍ، ﷺ. والحاءُ في ﴿حم﴾[1][1:40] مِنَ الحقِّ والميمُ مِنْ مُحَمَّدٍ، ﷺ، وأَشْبَاه ذلك.

قُلْتُ: ومن ظَرِيفِ ما ظَهَرَ لي في الاقتطاعِ ﴿الم﴾ طِبَاقُ الاقتطاعِ في جنابِ حَضْرَة القُدُسِ مِنَ الأوّلِ، أي آقْتَطَعَ أَوَّلَهُ للذكرِ ومِنْ مُحَمَّدٍ، ﷺ، كذلك. وآقتطاعُ الآخِرِ مِنْ جِبْرِيلَ.

قُلْتُ: وكَأَنَّهُ للإيذانِ بأنّ غايةَ جبريلَ شرفًا وزيادةً أَنْ يَصِلَ إلى مبدأ محمّدٍ، ﷺ، ونحو ذلك مِنَ اللَّطَائِفِ. ويلي القولَيْنِ الماضيَيْنِ أنّها أسماءٌ للسُّوَرِ التي هي في أوائلها. ويليه أنّها أَقْسَامٌ، أَقْسَمَ اللهُ، تعالى، بها.

قُلْتُ: وتَتَبُّعُ الأقربِ فالأقربِ في ذلك يُفِيدُ هذهِ التقسيماتِ جميعًا يطولُ، وإن كان متيسّرًا، إن شاء الله، تعالى.

قُلْتُ: ثُمَّ الأقربيّةُ تارةً تَكُونُ بحَسْبِ الاقتضاءِ اللسانيّ بمَعْنَى [52أ] أَنَّ العربَ عُهِدَ منها ذلك، كما قيل في الاقتطاعِ أو بحَسْبِ ما آقتضاهُ النقلُ. وأَلْقَتْ فُحُولٌ مِنَ السلفِ والخلفِ لديه عصى التسليم، كالقول الأوّل أو بحَسْبِ أَرْجَحِيّةِ نقلٍ على آخرَ. ومِنْ أبعدِها قَوْلُ بَعْضِ المتأخّرينَ مِنْ أَجَلَّاءِ العلماءِ: إنّها حُرُوفٌ، ما آسْتُعْمِلَتْ لغيرِ إيقاظِ الفكرِ وإنباهِ النظرِ، كمَنْ يَضْرِبُ بِيَدٍ على يَدٍ أو يَضْرِبُ بأيّ شيءٍ تنبيهًا للمُخَاطَبِ.

إذا عُلِمَ ذلك، فهَلْ لِلسُّوَرِ التي تُفْتَحُ بالحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ مَيْزٌ على غيرِها؟. لَمْ نَرَ في ذلك شَيْئًا إلّا أَن يُعتَبَرَ المَيْزُ مِنْ حَيْثُ هي مُفْتَتَحَةٌ بخزائِنَ مِنَ الخزائنِ الإلهيّةِ، مُودَعَةٌ، ما شاء الله، مِنْ أسرارِ العلوم الصَّمَدَانيّةِ، فميزها مَعْنَوِيٌّ، لا أنّه الفَضْلُ المرادُ به مزيدُ الثوابِ، فإنّا وَجَدْنَا بَعْضَ السورِ خاليَ الفِتَاحِ عَنْ ذلك. وله مَيْزٌ عَظِيمٌ بحَسْبِ الثَّوَابِ، كسورة الإخلاصِ.

[1] جاءت في أوائل السور الستّ التالية: غافر [40]، كما هو مخرَّج أعلاه، وفصّلت [41] والزخرف [43] والدخان [44] والجاثية [45] والأحقاف [46].

هذا وإنّ ﴿حم﴾ من سورِ القرآنِ الشريفةِ؛ فقد أخرَجَ آبنُ مَرْدويه[1]عن أنسِ بنِ مالكٍ[2]: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ، ﷺ، يَقُولُ: (إنّ اللهَ أَعْطَاني السَّبْعَ مَكَانَ التوراةِ. وأعطاني الرَّآتِ إلى الطَّوَاسِينَ مَكَانَ الإنجيلِ. وأعطاني مِنَ الطَّوَاسِينَ إلى الحَوَامِيمِ مَكَانَ الزَّبُورِ. وفَضَّلَنِي بالحَوَامِيمِ والمُفَصَّلِ. ما قَرَأَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي).[3]

هذا ومعلومٌ أنّ الأنبياءَ قَبْلَهُ، ﷺ، ما قَرَأَتْ ما قَبْلَ الحواميمِ أيضًا، فكأنّه، ﷺ، أراد ما قرأوا شيئًا، تكون الحواميمُ والمُفَصَّلُ بَدَلًا مِنهُ دلالةً على أَنّ مِنْ جُمْلَةِ ما هو به المُفَضَّلُ[4]الحَوَامِيمَ والمُفَصَّلَ.

وأَخْرَجَ أبو الشَّيْخِ[5]وأبو نُعَيْمٍ[6]والدَّيْلَمِيُّ[7]عن أَنَسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ، ﷺ: (الحواميمُ

---

[1] هو الحافظ المفسّر أبو بكر أحمد بن موسى من مردويه الأصبهانيّ (323-410هـ/935-1019م). تفسيره من مصادر السيوطيّ في (الدرّ المنثور في التفسير المأثور) (ط). عنه الأعلام 261/1 معجم المفسّرين (لنويهض) 81/1.

[2] صاحب رسول الله، ﷺ، وخادمه (10ق هـ-93هـ/612-712م). عنه الأعلام 24/2-25.

[3] منقول من الدرّ المنثور في التفسير المأثور (للسيوطيّ) 268/8 [سورة غافر]. للتعليق: هذا الحديث شاهد على أنّ الحواميم (=غافر [40] وفصّلت [41] والزخرف [43] والدخان [44] والجاثية [45] والأحقاف [46]) ليست من المفصَّل؛ ففي ذلك ردّ قاطع على أحد الأقوال الذي ذهب إلى أنّ أوّل المفصَّل سورة الجاثية [45]، كما هو مذكور في الإتقان في علوم القرآن 414/2 [القول الرابع]. حكم عليه الألبانيّ بالضعيف، كما في ضعيف الجامع 224 (1556).

[4] المفضّل: المفصل، الأصل.

[5] هكذا يُقال له، لكنّ كنيته أبو محمّد، آسمه عبد الله بن محمّد بن جعفر الحِبّانيّ الأصفهانيّ (274-369هـ/887-979م). من كتبه كتاب العظمة (ط) وكتاب الثواب، كلاهما من مصادر السيوطيّ في الدرّ المنثور في التفسير المأثور (ط). عنه الأعلام 120/4، معجم المفسّرين 321/1.

[6] هو الحافظ أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهانيّ (336-430هـ/948-1038م). من كتبه دلائل النبوّة (ط) وفضائل القرآن، نقل منهما السيوطيّ في تفسيره الدرّ المنثور في التفسير المأثور (ط). عنه الأعلام 157/1.

[7] هو المحدّث أبو منصور شَهْرَدَار بن شِيرويه بن شهردار الهمذانيّ (483-558هـ/1090-1163م). نسبُه

دِيبَاجُ القرآنِ).[1]

وأخرجَ البَيْهَقِيُّ[2]في الشُّعَبِ[3]عَنِ الخليلِ بنِ مرّةَ أنّ رسولَ اللهِ، ﷺ، قال: (الحواميمُ سَبْعٌ. وأَبْوَابُ جَهَنَّمَ سَبْعٌ. تَجِيءُ كُلُّ حَمِيمٍ مِنهَا تَقِفُ على بابٍ من هذهِ الأبوابِ، تَقُولُ: اللّهمّ لا تُدْخِلْ هذا البابَ مَنْ كان يُؤْمِنُ بِي ويَقْرَأُنِي![4].

رَجْعٌ إلى سورة الدخانِ وفضائلِها.

أخرج آبنُ مردويه عن أبي أُمَامَةَ **[52ب]** قال: قال رسولُ اللهِ، ﷺ: (مَنْ قرأ حم الدخان في ليلةِ جمعةٍ أو يَوْمَ جمعةٍ، بَنَى اللهُ له بها بَيْتًا في الجَنَّةِ).[5]

وأخرج البيهقيُّ عن أبي هُريرةَ، رضي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ، ﷺ: (مَنْ قرأ ليلةَ الجمعةِ حم الدخان ويسين، أَصْبَحَ مغفورًا له).[6]

متّصل بالصحابيّ الضحّاك بن فيروز الديلميّ، رضي الله عنه. له مسند الفردوس (خ)، من مصادر السيوطيّ في الدرّ المنصور في التفسير المأثور (ط)، قد آختصر به كتاب (فردوس الأخبار بمأثور الخطاب) (ط) لوالده أبي شجاع الديلميّ (445-509هـ/1053-1115م). عن الابن يُنظَر الأعلام 179/3، عن الوالد يُنظَر الأعلام 183/3.

[1] منقول من الدرّ المنثور في التفسير المأثور (للسيوطيّ) 269/8 [سورة غافر]. حكم عليه الألبانيّ بالموضوع، كما في ضعيف الجامع 412 (2800).

[2] هو الإمام المحدّث أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (384-458هـ/994-1066م). عنه الأعلام 116/1.

[3] هو شعب الإيمان (ط). يُنظَر هنا الحاشية التالية.

[4] منقول من الدرّ المنثور في التفسير المأثور (للسيوطيّ) 269/8 [سورة غافر]. كذلك يُراجَع شعب الإيمان 486/2 (2479) [19-باب في تعظيم القرآن / فصل في فضائل السور والآيات]. علّق البيهقيّ عليه [هناك 486/2]: «هكذا بلغنا بهذا الإسناد المنقطع». حكم عليه الألبانيّ بالضعيف، كما في ضعيف الجامع 412 (2802).

[5] منقول من الدرّ المنثور في التفسير المأثور (للسيوطيّ) 397/8 [سورة الدخان]. حكم عليه الألبانيّ بالضعيف جدًّا، كما في ضعيف الجامع 832 (5768).

[6] منقول من الدرّ المنثور في التفسير المأثور (للسيوطيّ) 397/8 [سورة الدخان] [هناك منسوب إلى ابن الضريس والبيهقيّ عن أبي أبي هريرة، رضي الله عن]. كذلك يُراجَع فضائل القرآن (لابن الضريس) 101

وأخرج الترمذيُّ والبيهقيّ في الشُّعَبِ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله، ﷺ: (مَنْ قرأ حم الدخان في ليلةٍ، أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ له سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ).[1]

وأخرج آبنُ الضُّرَيْسِ عَنِ الحسنِ، رضي اللهُ عنه، أنّ النبيَّ، ﷺ، قال: (مَنْ قرأ سورةَ الدخانِ في ليلةٍ، غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذنبِهِ).[2]

قال اللهُ، تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿حم ۞ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُبِينِ﴾ [44:1-2] الواوُ في ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ [44:2] واوُ قَسَمٍ، إن كان القصدُ بحميم تَعْدِيدَ الحُرُوفِ، أَوْ واوُ عَطْفٍ، إنْ كان حم مُقْسَمٌ بها، فتكون حِينَئِذٍ عَطْفُ قَسَمٍ عَلَى قَسَمٍ. أَقْسَمَ اللهُ ببَعْضِ الكتابِ، لكنّه بَعْضٌ عظيمٌ، وعطف عليه الأقسام بالكُلِّ. ومعلومٌ أنّ الكتابَ هو القرآنُ وجوابَ القسمِ ﴿إِنَّا أَنزَلۡنَٰهُ﴾ [44:3]، والاعتراضُ عليه بأنّه لا يَصِحُّ، إذ يلزم عليه الإقسامُ بالشيءِ على نَفْسِهِ البتّة، وإنّما هو إقسامٌ بالقرآن على إنزالِه في الليلةِ المباركةِ، فَيَا سُبْحَانَ اللهِ! أيكون ذلك إقسامًا بالشيء على نفسِهِ؟ هذهِ مكابرةٌ. والعجبُ فيمَن نَقَلَهُ وأَقَرَّهُ بَعْدَ إِذْ صَرَّحَ العَلَّامَةُ بأنّه جوابُ القسم، وهو تصريحٌ بما هو الحقُّ في هذا المحلِّ بلا شُبْهَةٍ.

هذا وتوصيفُ اللهِ الكتابَ بأنّه مُبِينٌ، بديعُ الموقعِ هنا جدًّا، إِذْ فِيهِ فَصْمُ عُرْوَةِ مَنْ تَخَرَّصَ أنّ الإتيانَ بالحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ أوائل السورِ يُمَانِعٍ شَيْئًا مِن مُبِينِيّةِ القرآنِ. معاذَ اللهِ! فإنّه ليس بلازمٍ أَنْ يَكُونَ كُلُّ القرآنِ مُبِينًا لكُلِّ أَحَدٍ، فإذا بعضُهُ غَيْرُ مُبِينٍ البتّةَ على القولِ بأَنَّ

(221)، شعب الإيمان 2/484-485 (2477) [19-باب في تعظيم القرآن / فصل في فضائل السور والآيات]. علّق البيهقيّ بعد ذلك [هناك 2/485]: «تفرّد به هشامٌ؛ وهو هكذا ضعيفٌ. ورَوَاهُ غيرُه عن الحسنِ، كما مضي ذكرُه في سورة يس».

[1] منقول من الدرّ المنثور في التفسير المأثور (للسيوطيّ) 8/397 [سورة الدخان]. كذلك يُراجَع شعب الإيمان 2/484 (2475) [19-باب في تعظيم القرآن / فصل في فضائل السور والآيات]. حكم عليه الألبانيّ بالموضوع، كما في ضعيف الجامع 831-832 (5766).

[2] منقول من الدرّ المنثور في التفسير المأثور (للسيوطيّ) 8/397 [سورة الدخان]. كذلك يُراجَع فضائل القرآن 102 (222) [باب في فضل سورة الدخان]. حكم عليه الألبانيّ بالضعيف، كما في ضعيف الجامع 832 (5772).

اللهَ ٱسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ الحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ، فَقَدْ أَبَانَتْ عَظَمَتُها مَعَ العِلْمِ بقَطْعِيَّةِ أنّها [53أ] مِنَ القرآنِ بونها عن إدراكِ حقيقتِها وإمَّا على القولِ بأنّ الله، تعالى، قد يُطْلِعُ بَعْضِ أَصْفِيَائِهِ على ذلك، فيَسْهَلُ الأَمْرُ جِدًّا، بَيْدَ أَنَّ اللهَ، سُبْحَانَهُ، أَفَادَ زِيَادَةَ البيانِ في القرآنِ، حيثُ يقولُ المبين فَضْلًا عَن أَنْ يَقُولَ البين، فوضعُ القرآنِ تقشيع لجانبِ الخفاءِ عن آياتِ اللهِ، تعالى، وأسرارِه وتَمْزِيقِ أَغْشِيَةِ المعاني والإعرابِ عن المستعجمِ مِنَ الحقائقِ، ولكن تَلَقِّي ذلك مِنهُ يَخْتَلِفُ بٱختلافِ القابليّاتِ المنوّرة والقلوبِ المطهّرة.

قال اللهُ، تعالى، ٱسْتِئْنَافًا مُلَائِمًا للمحلّ وجوابًا للقسم: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ﴾ [3:44] يعني الكتابَ مِنَ اللوحِ المحفوظِ إلى بيتِ العزّة في سَمَاءِ الدنيا جُمْلَةً واحِدَةً في ليلةٍ مباركةٍ؛ وهو صادِقٌ ببعضِها ولم ينكر هو في إسراءِ بعبده ليلًا، لأنّه لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَصِفَ الليلةَ بكَوْنِها مباركةً، ناسَبَ أَنْ يَأْتِي بما لا يقتضي التعليلَ في الزمانِ حتّى ولو أنّه كان في زمانٍ قليلٍ، كأنّه وقع في جميعِ ذلك الزمانِ إيثارًا للدلالة على تعميم البركةِ. وهناك لَمَّا كان المرادُ تعجيبَ الخلقِ مِنْ قُدْرَة الحقّ، ناسَبَ أَنْ يأتي بما يقتضي قِلَّةَ الزمانِ.

ومعنى ذلك الإنزالِ إمّا ٱستنساخُ الملائكةِ له في صحفٍ مكرّمةٍ وأودعوها بَيْتَ العزّة وإمّا نقله إلى صدورِهم. ولربُّما يتحصّلُ من مجموعِهم على القولِ بأَنَّ حِفْظَ القرآنِ خُصُوصِيّةٌ لهذهِ الأُمَّةِ حتّى عن الملائكةِ ثمّ لَمَّا وصلوا بَيْتَ العزّة كَتَبُوهُ في صُحُفٍ ثَمَّةَ أو نَقَلَهُ الحقُّ كما شاء مِن صدورِهم إلى مُثبتٍ هناك. اللهُ أعلمُ أَيَّ ذلك أراد والليلة التي ينزل فيها هذا الكتاب الجامع المُهَيْمِن على جميعِ الكتبِ المنزَّلةِ. لا جَرَمَ أنّها ليلةٌ مباركةٌ به، بل ويتعلّق عِلْمُ اللهِ، سبحانه، بإعدادِها كذلك، وإن لم يكن قَبْلُ نزل فيها.

ومعنى كَوْنِها ليلةً مباركةً أَيْ كثيرة البركة. وٱختلفوا في تلك الليلةِ؛ فقال الأكثرُ– وهو الأشهرُ: إنّها ليلةُ القدرِ.[1]وقالَتْ طائفةٌ، منهم عِكْرِمَةُ وغيرُه: إنّها ليلةُ النصفِ مِن شَعْبَانَ، إذ وَرَدَتْ

[1] أخرج الطبريّ (ت310ه) بأسانيدِه مجموعةً من الروايات القائلة بهذا القول. يُنظَر تفسير الطبريّ 11/220-223 (31026-31038).

شَـوَاهِدُ على أنّها[1]ليلةُ فَرْقِ كُلِّ **[53ب]** أمرٍ حكيمٍ.[2]وقَدْ وُصِفَتْ بذلك ليلةُ الإنزالِ، إلّا أنّ صريحَ النصِّ القرآنيّ، حيثُ يقولُ اللهُ، جلَّ ذكرُه: ﴿إِنَّا أَنزلنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [1:97] إلى آخرِ السورة شاهِدٌ، أيْ شاهِدٌ لليلةِ القدرِ. وجَمَعَتْ طائفةٌ مِنْ أَجَلِّ متأخّرِيهم زمانًا، متقدّمِيهم عِلْمًا وعرفانًا الشيخ الوالد، رضي الله عنه، بأنّ ٱبتداءَ ذلك كان لَيْلَةَ النصفِ وتَمَامَهُ لَيْلَةَ القَدْرِ. قال اللهُ، تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [3:44] ٱسْتِئْنَافٌ ثانٍ مُلَائِمٌ للمحلّ أيضًا وجوابٌ بَعْدَ جوابٍ، حُذِفَتْ فيه أداةُ العطفِ الحاصلِ يرجع إلى أنّ المرادَ إنَّا مِن عادَتِنا إنذارُ الخلقِ وتخويفُهم بقوارعِ الآياتِ وروائعُ البيّناتِ. ثمّ نَعَتَ الليلةَ بِمَا يُفْهَمُ مِنهُ تحصيلُ العلّةِ في تمييزِها بإنزالِ القرآنِ بقولهِ، سبحانه وتعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ [4:44] يُقَرَّرُ ويُحَقَّقُ ويُبَيَّنُ حتّى كأنّه كان قَبْلَ ذلك مُلْتَئِمًا ٱلْتِئَامَ ٱسْتِتَارٍ، مُجْتَمِعًا ٱجْتِمَاعَ خَفَاءٍ؛ فبالفرقِ ظَهَرَ وٱستبانَ كلُّ أمرٍ، قضاءٍ، حكيمٍ مُحْكَمٍ لَدَيْنَا غَيْرِ مُعَلّقٍ، بَلْ نَبُثُّهُ للملائكةِ بَثًّا. وأَرَدْنَا بذلك ٱلْأَمْرِ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ [5:44]. وإضافتُهُ إليه بالعِنْدِيّة إضافةُ تعظيمٍ وتشريفٍ. وإبلاغُ ذلك الأَمْرِ المفروقِ، بل والكتابِ الذي أنزل لَيْلَةِ الفرقِ إنّما هو على أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ مِنَ الملائكةِ والبشرِ على عادَتِنَا في ذلك ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [5:44-6] أَنزَلْنَاهُ وأَنذَرْنَا وأَرسَلْنَا ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ مِنْ أَجْلِ رحمةِ رَبّكَ. وٱلْتَفَتَ إلى خِطَابِ الحبيبِ تَكْرِمَةً وذَكَرَ الربوبيّةَ وأَفْرَدَها تَنزيلًا له، ﷺ، مَنزِلَةَ العالَمِينَ جميعًا، لأنّه، سبحانَهُ، ربُّ العالمين. وقال هنا ﴿رَّبِّكَ﴾، فَلْيَحذَر كُلُّ أَحَدٍ أُوتِي كَلِمَةً لا تُنَاسِبُ قبولَ كتابِهِ وٱمْتِثَالَ أَمْرِه. ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالِ الخلقِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالِهم.

إذا عُلِمَ ذلك، فقد وَرَدَتْ أحاديثُ في فَضْلِ ليلةِ النصفِ من شَعْبَانَ. ولا نَتَعَرَّضُ للموضوعِ منها، كحديثِ تَعْيِينِ ركعاتٍ لقيامِها، بل لِمَا يُعْمَلُ بِهِ في فضائلِها؛ فمِنْ ذلك قولُهُ، ﷺ، كما رواه البيهقيُّ **[54أ]** في الشُّعَبِ عن سيّدِنا ومولانا عليّ بنِ أبي طالبٍ، كرّم اللهُ وَجْهَهُ: إذا

[1] على أنّها: لانها، الأصل.

[2] رَوَاهُ الطبريّ (ت310هـ) بإسناده عن عكرمة وغيره. يُنظَر تفسير الطبريّ 223/11 (31039-31041) [هناك أيضًا «أَوْلَى القولَيْنِ في ذلك بالصواب قولُ مَن قال: ذلك ليلة القدر لِمَا قد تقدّم من بياننا» إلخ].

كانت ليلةُ النصفِ من شَعْبَانَ، فقُومُوا ليلَتَها وصُومُوا يَوْمَها! فإنّ اللهَ يقولُ - أيْ فِيهَا: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ فأَغْفِرَ لَهُ؟ أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فأَرْزُقَهُ؟ أَلَا سَائِلٌ فأُعْطِيَهُ؟ أَلَا كَذَا حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ.[1]

وأَخرَجَ البيهقيُّ أيضًا عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، رضي اللهُ عنه، عن النبيّ، ﷺ، قال: (يَطَّلِعُ اللهُ في ليلةِ النصفِ مِن شَعْبَانَ، فيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ)[2].

وفي كلامِ الأَوْزَاعيّ[3]، رحمه اللهُ: «إنّ المُشَاحِنَ هو ذو الشَّحْنَاءِ في الاعتقادِ». وسَبَبُهُ أَنَّهُ أَرْدَأُ ذلك[4]وأَقْطَعُهُ، وإلّا فكُلُّ مُشَاحِنٌ أَخَاهُ المُسْلِمَ بغَيْرِ حَقٍّ داخِلٌ في العُمُوم بِلَا شُبْهَةٍ، إلّا أن يكونَ الإمامُ الأوزاعيُّ قال ذلك عن توقيفٍ، فيكون مِنَ العامّ الذي أُرِيدَ به الخاصُّ. ويُؤَيِّدُهُ قَوْلُ المَجْدِ، صاحِبُ القامُوسِ[5]: «والمُشَاحِنُ في الحديثِ - يعني في المراد بالحديث الوارد - صاحِبُ البِدْعَةِ، التارِكُ لِلْجَمَاعَةِ»[6]. ولَعَلَّهُ أَخَذَهُ مِنْ كلام الأوزاعيّ، وإن كان ظاهِرُ السُّنَّةِ المؤيّدُ بقَوْلِهِ، ﷺ، عن المَغْفِرَة في هذهِ الليلةِ: (ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بحِقْدِهِمْ)[7]. ولَمْ يَقُلْ

---

[1] كذا على أنّه موقوف، لكنّه ورد مرفوعًا في شعب الإيمان 3/378-379 (3822) [ما جاء في ليلة النصف من شعبان] والترغيب والترهيب 352 (14). حكم عليه الألبانيّ بالموضوع، كما في ضعيف الجامع 93 (652).

[2] شعب الإيمان 3/382 (3833). كذلك الترغيب والترهيب 351 (10) [هناك «رواه الطبرانيُّ وآبنُ حبّان في صحيحه»]. حكم عليه الألبانيّ بالحسن، كما في صحيح الجامع 1/373 (1819). كذلك يُقابَل الترغيب والترهيب 352 (12).

[3] هو أبو عمرٍو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد (88-157هـ/707-774م)، إمام أهل بلاد الشام في الفقه. عنه الأعلام 3/320.

[4] أردأ ذلك: ارداهم، مع تصحيح في الهامش، مشارٌ إليه في هذا الموضع من الأصل، آخره لفظ (صح).

[5] هو العلّامة اللغويّ مجد الدين محمّد بن يعقوب بن محمّد الفيروزابادي (729-817هـ/1329-1415م)، صاحب القاموس المحيط (ط). عنه الأعلام 7/146-147.

[6] القاموس المحيط 1208 [شحن] «والمُشَاحِنُ المذكورُ في الحديثِ صاحِبُ البِدْعَةِ، التارِكُ للجَمَاعَةِ».

[7] يُقابَل شعب الإيمان 3/382 (3832) «إذا كان ليلةُ النصفِ من شعبانَ، آطّلع اللهُ إلى خلقِهِ، فيغفر للمؤمنِ ويملي للكافرينَ ويدع أهلَ الحقدِ بحقدِهم حتّى يدعوه». حكم عليه الألبانيّ بالحسن، كما في صحيح الجامع 1/195 (771)، 385 (1898).

أَحَدٌ في الحِقْدِ بأنّه حِقدُ البِدْعَةِ، ولا مُقْتَضِيَ لحَمْلِهِ عليه.

وهذا ويَحْصُلُ أَصْلُ الفَضْلِ في قِيَامِ لَيْلَةِ النِّصْفِ بصَلَاةِ العِشَاءِ في جَمَاعَةٍ، وإن لم يُصَلّ[1] الصبح فيها؛ فقد قال رسولُ اللهِ، ﷺ: (مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ، فكأنّما قام نِصْفَ الليلِ)[2].

وواضِحٌ أنّه يُقالُ: فلانٌ قام الليلَ والليلةَ، إذا قام نِصْفَهُ؛ فقد كان أَصْحَابُ النبيّ، ﷺ، آسْتَقَرَّ أَمْرَهُمْ[3] مَعَهُ على قيامِ نِصْفِ اللَّيْلِ أَوِ النَّقْصِ مِنهُ قَلِيلًا. ولا شُبْهَةَ في تَسْمِيَتِهم في كلِّ هذهِ الأَحْوَالِ قُوَّامًا[4].

وأَكْمَلُ من ذلك أَنْ يَعْزِمَ على صلاةِ الصبحِ في جماعةٍ ثمّ يُصَلِّيَهَا كذلك لقوله، ﷺ: (وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ في جَمَاعَةٍ، فكأنّما قام اللَّيْلَ كُلَّهُ).

وأَكْمَلُ من ذلك أَنْ يَزِيدَ على ذلك بنَوَافِلَ يُصَلِّيَهَا في تلك **[54ب]** الليلةِ سِوَى رَوَاتِبِ الصلاةِ والوترِ، لِيَحْصُلَ الأَكْمَلُ في القيام. واللهُ أعلمُ.

تَمَّتِ النبذةُ المباركةُ لأستاذِنا،

رضي اللهُ عنه وأَمَدَّنَا من مَدَدِهِ

---

[1] يصلّ: يصلي، الأصل.

[2] رواه الإمام مسلم (ت261ه) في صحيحه 294/1-295 (656) [(5) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (46) باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعةٍ] بلفظ: (من صلّى العشاءَ في جماعةٍ، فكأنّما قام نِصْفَ الليلِ؛ ومَنْ صلّى الصبحَ في جماعةٍ، فكأنّما صلّى الليلَ كُلَّه). كذلك رواه الإمام الترمذيّ (ت279ه) في الجامع الصحيح 433/1 (221) [أبواب الصلاة، 165 باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة] بلفظ: (مَن شَهِدَ العشاءَ في جماعةٍ، كان له قيامُ نصفِ ليلةٍ؛ ومن صلّى العشاءَ والفجرَ في جماعةٍ، كان له كقيامِ ليلةٍ).

[3] أمرهم: اامرهم، الأصل.

[4] جمعُ قائمٍ.

وأفاض علينا من بركاتِهِ

ونَفَحَنَا من نفحاتِ أسرارِه وهِبَاتِه

ومتّع حياتَنا بمؤلَّفاتِهِ.

آمين!

وصَلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم: مصحف المدينة النبويّة [على قراءة عاصم بن أبي النَّجُود الكوفيّ الأسديّ (745/127) برواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسديّ (90-180/709-796)]. المدينة المنوّرة: مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1411/[1990]، 604ص/«ل»ص.

ابن العماد الحنبليّ، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحيّ بن أحمد بن محمّد العكريّ الدمشقيّ (1032-1089/1623-1679): شذرات الذهب في أخبار من ذهب. أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديث: عبد القادر الأرناؤوط. حقّقه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط. دمشق / بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1406-1414/1986-1993، 10مج.

إسماعيل باشا البغداديّ، إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم البابانيّ (1255-1339/1839-1920): إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، [د. س.]، 2ج/2مج.

-----: هديّة العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين. عُني بتصحيحه: Kilisli Rifat Bilge [مج1]، Avni Aktuç [مج2]، İbnülemin Mahmud Kemal İnal [مج1-2]. إستانبول: مطبعة وكالة المعارف، مج1: [1371]/1951، مج2: [1375]/1955، 2مج.

الألبانيّ، محمّد ناصر الدين (1333-1420/1914-1999): صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). بيروت: المكتب الإسلاميّ، ط3، 1408/1988، 2مج.

-----: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). بيروت: المكتب الإسلاميّ، 1408/1988، [944]ص.

البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ (384-458/994-1066): شعب الإيمان. تحقيق: محمّد السعيد بن بَسْيُوني زَغْلول. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1421/2000،

9ج/9مج.

الترمذيّ، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سَوْرَة السلميّ (209-279/824-892): الجامع الصحيح. بتحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، محمّد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1388-1968/97-77، 5ج/5مج.

الزِّرِكْليّ، خير الدين بن محمود بن عليّ (1310-1396/1893-1976): الأعلام قاموس تراجِم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت: دار العلم للملايين، ط9، [1410]/1990، 8مج.

سالم، محمّد إبراهيم محمّد: التراث الثريّ في البيت البكريّ – تراجم وعلوم وأوراد السادة البكريّة. [د. م.]: الشركة المتّحدة للطباعة والنشر والتوزيع، 1417/1997، [141]ص.

السيوطيّ، أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد الخضيريّ (849-911/1445-1505): الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: مركز الدراسات القرآنيّة. المدينة المنوّرة: مجمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426/[2005]، 7ج/7مج.

-----: الدرّ المنثور في التفسير المأثور. بيروت: دار الفكر، 1432-2011/33، 8ج/8مج.

الشعرانيّ، أبو محمّد عبد الوهّاب بن أحمد بن عليّ الحنفيّ (898-973/1493-1565): الطبقات الوسطى المسمّى لواقح الأنوار القدسيّة في مناقب العلماء والصوفيّة. تحقيق: محمّد عبد القادر نصّار. القاهرة: دار الإحسان، ط1، [1438]/2017، 2مج.

الشِّلّيّ، جمال الدين محمّد بن أبي بكر بن أحمد الحسينيّ الحضرميّ (1030-1093/ 1621-1682): السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر. تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي. صنعاء: مكتبة الإرشاد، ط1، 1425/2004، 656ص.

الطبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد (224-310/839-923): تفسير الطبريّ المُسَمَّى جامع البيان في تأويل القرآن. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1412/1992، 12مج.

عليّ باشا مبارك، عليّ بن مبارك بن سليمان الروجي (1239-1311/1824-1893): الخطط التوفيقيّة الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة. بولاق مصر: المطبعة الكبرى الأميريّة، 1304-1306/1886-1888، 20ج/4مج.

العيدروس، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله اليمنيّ الهنديّ (978-1038/1570-1628): النور السافر عن أخبار القرن العاشر. حقّقه وضبط نصوصه وصنع فهارسه وقدّم له وعلّق عليه: أحمد حالو، محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي. بيروت: دار صادر، ط1، 1422/2001، 663ص.

الغزّيّ، أبو المكارم نجم الدين محمّد بن محمّد بن محمّد العامريّ (977-1061/1570-1651): الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة. وضع حواشيه: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1418/1997، 3ج/3مج.

الفهرس الشامل للتراث العربيّ الإسلاميّ المخطوط (علوم القرآن: مخطوطات التفسير وعلومه). عمّان: المجمع الملكيّ لبحوث الحضارة الإسلاميّة (مؤسّسة آل البيت)، ط1، [1409]/ 1989، 2ج.

الفيروزباديّ، مجد الدين محمّد بن يعقوب بن محمّد اللغويّ (729-817/1329-1414): القاموس المحيط. بيروت: مؤسّسة الرسالة، ط8، 1426/2005، 1498ص.

كَحّالة، عمر رضا: معجم المؤلّفين تراجم مصنّفي الكتب العربيّة. دمشق: المكتبة العربيّة، 1376-1381/1957-1961، 15مج.

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ (204-261/820-875): صحيح مسلم. الرياض: دار طيبة، 1426/[2005]، 1470ص.

المُنَاويّ، زين الدين محمّد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن عليّ بن زين العابدين القاهريّ (952-1031/1545-1622): الكواكب الدُّرّيّة في تراجم السادة الصوفيّة [= الطبقات الكبرى]. تحقيق وإعداد: محمّد أديب الجادر. بيروت: دار صادر، ط3، [1433]/2012، مج1-3. [معه مج4: إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن = الطبقات الصغرى للمناويّ؛ مج5: فهارس طبقات الصوفيّة الكبرى-الصغرى].

المُنذِريّ، أبو محمّد زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ بن عبد الله (581-656/1185-1258): الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. آعتنى به: خليل مأمون شيحا. بيروت: دار المعرفة، ط1، 1429/2008، 1225ص.

النبهانيّ، يوسف بن إسماعيل بن يوسف (1265-1350/1849-1932): جامع كرامات الأولياء. تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض. پُورْبَنْدَر (الهند): مركز أهل سُنَّت بركات رضا، ط1، 1422/2001، 2ج.

نويهض، عادل: معجم المفسّرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر. [بيروت]: مؤسّسة نويهض الثقافيّة، ط1، 1403-1404/1983-1984، 2مج.

Brockelmann, Carl (1285-1375/1868-1956): *Geschichte der arabischen Litteratur*. Leiden: E. J. Brill, Bd. 1 (1943) & Bd. 2 (1949); Suppl., Bd. 1 (1937), Bd. 2 (1938) & Bd. (1942).

Mach, Rudolf (1341-1401/1922-1981): *Catalogue of Arabic Manuscripts (Yahuda Section) in the Garrett Collection, Princeton University Library*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977, 515 p.